

١ - في الحديث الحمدي

للأستاذ محمود أبو رية

تستخيرا الله اليوم في أن ننجز بما وعدنا به
قراء الرسالة الزراء فننشر فمولا مختصرة
من بحث مستفيض قصرناه على الكلام (في
الحديث الحمدي) والله نسأل أن يعصنا
من الزلل ويلهنا التوفيق في القول والعمل
محمود أبو رية

مما لا يكاد يختلف فيه اثنان ، أو يحتاج في إثباته إلى برهان ،
أن للحديث الحمدي من جلال الشأن وعلو القدر ، ما بدعو إلى
العناية به ، والبحث عنه ، حتى يدرس ما فيه من دين وأدب ،

على أن تكون حصة إيران ١٤٪ من الأرباح ومد أجل الامتياز
إلى ١٩٩١

إن كل قطرة من البترول تعادل قطرة من الدم ، وإنجلترا
من أجل هذا حريصة على أن تبقى آبار البترول في إيران تحت
يدها ويضاف إلى هذا ما ترجمه بريطانيا من أموال طائلة .
والإيرانيون الآن يرون أن بلادهم تفيض ذهباً ولكن هذا الذهب
لا يذهب إلى جيوبهم وإنما يذهب إلى جيوب غيرهم من الأجانب ،
ومن ثم قاموا بطالبون حكومتهم بتصحيح الأوضاع ورد بضاعتهم
إليهم ، ولن يكون ذلك إلا بإلغاء امتياز شركة البترول الإيرانية
الإنجليزية التي زاد إنتاجها في العام الماضي عن ٢٠ مليون طن
من البترول وتأمين البترول ، أي أن تصبغ آبارهم مرفقا عامان مرافق
الدولة الإيرانية وموردا من مواردها ؟ أليس ترى متى أنهم
على حق ؟

وبدأت الحركة باغتيال رئيس الوزراء وقرر البرلمان الإيراني
موافقته على مشروع التأمين وشارت إنجلترا وأرسلت بوارجها إلى
الخليج الفارسي وحشدت روسيا قواها على حدود إيران وما يزال
الموقف مضطربا للغاية . وما يعلم إلا رب وربك كيف تكون النهاية

أبو الفتح عظيم

مدرس أول العلوم الاجتماعية
بمستود الثانوية

ويعلم ما يحمله من أخلاق وحكم

وعلى أنه بهذه المسكنة الجليظة ، والمزلة الرفيعة ، فإن العلماء
والأدباء لم يولوه ما يستحق من العناية والدرس ، وتركوا أمره لمن
يسمون رجال الحديث يتداولونه بينهم ويدرسونه على طريقةهم .
وطريقة هذه الفئة التي اتخذتها قامت على قواعد جامدة لا تتغير
ولا تتبدل . فترى المتقدمين منهم وهم الذين وضعوا هذه القواعد
قد حصروا عنايتهم في معرفة رواة الحديث والبحث — على قدر
الوسع — في تاريخهم ، ولا عليهم بمد ذلك إن كان ما يصدر عن
هؤلاء الرواة صحيحا أو غير صحيح ، معقولا أو غير معقول ، أي أنهم
وقفوا عند البحث فيما يتصل بالسند فقط ، أما المتن فلا يمتنعهم
من أمره شيء

ثم جاء التأخرون فقمعدوا وراء الحدود التي أقامها من قبلهم ،
لا يتجاوزونها ولا يحيدون عنها ، وبذلك جمد علم الرواية منذ
القرون الأولى لا يتحرك ولا يتغير ، ووقف هؤلاء وهؤلاء عند
ظواهر الحديث كما أدت إليه الرواية مطمئنين إليها آخذين من غير
بحث ولا تمحيص بها (١)

وعلى أنهم قد بذلوا أقصى جهدهم في دراسة علم الحديث من
حيث روايته حتى قيل : (إن علم الحديث قد انطبخ حتى احترق)
فإنهم قد أهلوا جميعا أمرا عظيما يجب أن يعرف قبل النظر في كتب
هذا العلم ودرس ما فيها ، وذلك هو البحث عن النص الصحيح
لما تحدث به النبي (ص) ، وهل كتبه عند لقائه كما فعل القرآن ؟ أو
أمله ونهى عن كتابته ؟ وهل دونه الصحابة ومن بعدهم أو
أمسكوا عن تدوينه ؟ وماذا كان أمرهم في روايته ؟
وهل ما روى عنه قد جاء مطابقا لحقيقة ما نطق النبي به — لفظا
ومعنى — أو كان مخالفا له ؟ وما هي العوامل التي تدست إليه
من أعدائه ، والمؤثرات التي أصابته من أهواء أوليائه ، حتى رشت
بما ليس منه ، ونسب إليه ما هو غريب عنه أتم في أي زمن
ابتدأ تدوينه ؟ وهل اتخذ ما دونوه — في أول الأسس — طورا
واحدا لم يتغير على مر العصور ، أو تقلب في أطوار متعددة ؟ وفي

(١) قال أحد كبار العلماء في وصف علم الحديث : انه علم اصطلاحي
محصن يوصى بكمد المحافظة ، ويستبط بقوة التاكيد ، فلا يملك الفكر
التوصل إلى حقائق للمفولات ، ولا الخيال الجوال في جواء الترات

آية سورة خرج أخيرا للناس في كتبه الممتدة ، وماذا كان موقف علماء الأمة منه ، وما مبلغ تقمهم به ، ومدى اختلافهم فيه ! بعد أن عراه ما عراه ، وتأثر بما تأثر به ؟ وما إلى ذلك من الأمور المهمة التي يجب أن يعرفها كل مسلم أو باحث قبل النظر فيه ، والأخذ بما تؤدي إليه ألفاظه وممانيه

أما هذا كله وغيره مما يتصل بحياة الحديث وتاريخه فقد انصرف منه العلماء والباحثون ، وتركوه أخبارا في بطون الكتب مبثورة ، وأقوالا بين ضائر الأسفار مستنصرة ، لا بضم نشرها كتاب ، ولا بنى بتصنيفها باحث

نهى النبي عن كتابة حديثه وعمل الصحابة بذلك :

كان رسول الله صلوات الله عليه مينا ومفسرا للقرآن بفعله وقوله ، ولكن أقواله في هذا البيان أو في غيره لم تحفظ بالتدوين كما حفظ القرآن . وقد تضافت الأدلة النقلية الوثيقة ، وتواتر العمل الصحيح على أن أحاديث الرسول (ص) لم تكتب في عهده كما كان يكتب القرآن ، ولا كان لها كتاب يقيدها عند سماعها والتلفظ بها كما كان للقرآن كتاب معروفون يقيدون آياته عند نزولها ، بل جاءت أحاديث صحيحة وآثار ثابتة تنهى كلها عن كتابة أحاديث صلوات الله عليه إذا أوردناها كلها طال بنا القول فلنجتزئ بذكر ذرو قليل منها :

روى مسلم وأحمد وغيرهما عن أبي سعيد الخدري قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن فمن كتب عني غير القرآن فليمحاه »

وأخرج الدارمي عن أبي سعيد كذلك : أنهم استأذنوا النبي (ص) في أن يكتبوا عنه فلم يأذن لهم

وروى الترمذي عن أبي سعيد قال : استأذننا النبي في الكتابة فلم يأذن لنا

وعن أبي وهب قال : سمعت مالكا يحدث أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب الأحاديث أو كتبها ثم قال : « لا كتاب مع كتاب الله »

وروى حافظ المغرب ابن عبد البر والبيهقي في المدخل من مروة : أن عمر أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب رسول الله

في ذلك - ورواية البيهقي - فاستشار فأشاروا عليه أن يكتبها ، فطلق عمر يستخير الله فيها شهرا ثم أصبح يوما وقد عزم الله له فقال : إني كنت أريد أن أكتب السنن وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله - (وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبدا) ورواية البيهقي « لا ألبس كتاب الله بشيء أبدا »

وروى الحاكم عن عائشة قالت : جمع أبي الحديث عن رسول الله فكانت خمسمئة حديث فبات يتقلب - قالت ففمنى كثيرا فقلت لشكوى أو لشيء بلانه ! فلما أصبح قال : أي بنية ، هللى الأحاديث التي عندك ، فجئت بها فأحرقها وقال : خشيت أن أموت وهي عندك فيكون فيها حديث عن رجل ائتمنته ووثقت به ، ولم يكن كما حدثني فأكون قد تقلدت ذلك . زاد الأحوص بن الفضل بن عنان في رواية : أو يكون قد بقى حديث لم أجده فيقال : لو كان قاله رسول الله

والأخبار في ذلك كثيرة جدا لا نستزيد بإيرادها كلها رغبة الصحابة عن رواية الحديث ونهيم عنها :

إذا كانت الآثار الصحيحة قد جاءت في نهى النبي (ص) من كتابة حديثه ، والأخبار الوثيقة قد تراءت بأن صحابته رضوان الله عليهم قد استمعوا إلى نهيه ، ولم يكتبوا حديثه بعد موته ، - كما علمت مما مر بك - فإننا نجد هؤلاء الصحابة كانوا يرغبون في رواية الحديث بل كانوا ينهون فيها وأنهم كانوا يتشددون في قبول الأخبار تشديدا قويا

روى الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ قال ومن مراسيل ابن أبي مليكة أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيه فقال : إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً؛ فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا فمن سألكم قولوا : بيننا وبينكم كتاب الله فاستعملوا حلاله وحرموه حرامه . وروى ابن عساکر عن عبد الرحمن بن هوف قال : والله ما سأت عمر بن الخطاب حتى يبعث إلى أصحاب رسول الله فيجمعهم من الآفاق - عبد الله بن حذيفة وأبا الرداء وأبا ذر وعقبة بن عامر - فقال : ما هذه الأحاديث التي أنشبت من رسول الله في الآفاق ؟ قالوا : تنهانا ؟ قال . أقيموا عندي ، لا والله لا تغارقوني ما مشيت فنحن